الحلقة التاسعة والعشرون

رحيل شهر الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فها هو ذا شهر رمضان قد أوشك على الانتهاء ، وتلك هي أيامه ولياليه تؤذن بالرحيل ، وأيام الخير ترحل بسرعة مذهلة ، وأوقات الفضل مكثها قليل ، وإن مجيء شهر رمضان وانتهاءه بهذه السرعة ، يعطينا العظة النافعة ، التي منها ندرك كل الإدراك أن كل مخلوقات الله لها بداية ولها أيضاً نهاية ، وشهر رمضان بدأ وانتهى لأنه من مخلوقات الله ، ومرور الأيام والشهور والأعوام كل هذا محسوب من أعمارنا ، وقد يفرح المرء بمرور الزمن ويسّر لسرعته ، والواقع يؤكد أن في ذلك ذهابا إليه ، والشاعر كان صادقا حين قرر ذلك حيث قال :

يسر المرء ما ذهب الليالي ** وكان ذهابهن له ذهابا.

إننا - نحن المخلوقات - إلى ذهاب ، ولنا بداية ونهاية ، والخالق العظيم القادر ليس كذلك ، لأنه لا بداية له ولا نهاية ، وهو الحي الدائم الباقي الذي لا يموت أبدا.

وها هو شهر رمضان قد جاءنا فسرت بمجيئه قلوبنا ، وانشرحت بقدومه صدورنا ، وقد صمنا فيه وصلينا ، وأدينا واجبنا فيه نحو ربنا ، امتثالا لأمر الله تعالى ، واقتداء بالرسول -عليه الصلاة والسلام -، الذي كان يسر بقدوم شهر رمضان ، ويضاعف العمل الصالح في هذا الشهر ، وكان -عليه السلام - ينوه بفضل هذا الشهر ويشيد به ، وهذا نموذج من أقوال الرسول عن هذا

الشهر المبارك :

- أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدي فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

- يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء لكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ألا إله إلا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة .

هكذا كان الرسول إزاء شهر رمضان ، ولم يكن الرسول يقول ولا يفعل ، وإنما كان - عليه الصلاة والسلام - يطبق ما يقول ، ويعمل كل ما يقرر ، ويعمق المبادئ التي كان يعلنها ، وكان يفطر الصائمين ويتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح في هذا الشهر أكثر من غيره ، حتى يكون كلامه مقروناً بفعله ، وليكون لما يقولـه أثر ، وليعطى القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - كان يستقبل هذا الشهر أحسن استقبال ، لا بكلامه فحسب، وإنما بكلامه وفعله ، وكما كان يستقبله بهذه الصورة الطيبة ، كان كذلك يودعه أحسن ما يكون الوداع ، يستقبله بالعمل الصالح ، ويودعه بالعمل الصالح ، ونحن

المسلمين نستقبل شهر رمضان بما يرضى الله تعالى اقتداء برسولنا ، ونودعه كذلك وداعا معبّرا عن حبنا له أسوة بالرسول العالمي محمد بن عبد الله ، والمسلمون يتفاوتون في استقبالهم لشهر رمضان ، فمنهم من يستقبله بقلب مفتوح ، وصدر منشرح ، ونفس مسرورة ، وصام فأحسن الصيام، وقام بالواجب خير قيام ، فمن تلاوة للقران ، ومن ذكر وتسبيح ، ومن جود وكرم ، وما إلى ذلك مما يجب على المسلم ، من فعل الطاعات ، والبعد عن السيئات ، ومن المسلمين من كانوا كذلك ولكنهم أقل درجة من غيرهم من النموذجيين ، وهناك من يستقبل شهر رمضان بفتور ، فلا صيام ولا صلاة ، ولا طاعة ولا عبادة ، ولا بعد عن الخطايا ولا انصراف عن الذنوب ، ولا توبة ولا إنابة ، وإنما تحالف مع الشيطان ، وارتماء في أحضان الرذيلة ، وهؤلاء حزب الشيطان ، وحزب الشيطان خاسر :

﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (المجادلة : ١٩).

وهؤلاء الذين بهذا الصورة المعتمة ، سيحاسبون الحساب العسير على سوء مسيرتهم الشيطانية ، وسيعاقبهم ربهم العقاب الأليم إذا لم يرجعوا إلى الله ، ويتوبوا توبة نصوحا ، وهم إذا استيقظت ضمائرهم ، وغسلوا بماء العبادة والتوبة أدران قلوبهم ، وطهروا نفوسهم الطهارة الحقيقية الكاملة ، إنهم عند ذاك يغفر الله لهم ، ويقبل توبتهم ويشملهم بعفوه ورضاه :

﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ (الشورى : ٢٥).

وكما أن استقبال شهر رمضان متفاوت ، فكذلك وداعهم له متفاوت ، وهنيئا لمن أحسن الاستقبال والوداع ، هنيئا لهم بما قدموا من أعمال صالحة ترضى الله ، وهنيئا لهم بما ادخره الله لهم من أجر عظيم لديه .

أيها الإخوة والأخوات : حين يزورنا ضيف عزيز له مكانته الكبيرة لدينا، فإننا نتبارى في حسن استقباله ، ونعتز بزيارته كل الاعتزاز، ونعمل على أن تكون إقامته بيننا إقامة طيبة سارة ،

والجميع يبتهجون كل الابتهاج بمقدم هذا الضيف العزيز لديهم ، المحبب إلى قلوبهم ، وكما يستقبلونه هذا الاستقبال الرائع، فهم كذلك يودعونه بالحفاوة والتكريم ، وشهر رمضان ليس كالضيوف التقليديين ، وإنما هو ضيف من نوع آخر ، ضيف جاء المسلمين من قبل الله ، وحل بديارهم ومعه مكافآت من الله ، وهذا الضيف الرمضاني ، ليس بحاجة إلى تقديم ألوان الطعام وصنوف الفواكه ، لأنه ضيف صائم دائما، وإذاً فهو لا يكلف المسلمين أعباء مالية، ولا نفقات باهظة ، إنه لا يريد منهم شيئا من ذلك، وإنما يريد منهم أن يتحلوا بطاعة الله وحسن عبادته ، وأن يكونوا مثلا عليا في سمو الأخلاق ومحاسن الشيم ، بحلية السلوك الطيب ، والعمل الصالح ، والبعد عن كل ما يغضب الله ، من انحراف المسيرة ، ومن ارتكاب المعصية .. هذا هو ما يريده شهر رمضان منهم ، ونسأل الله سبحانه ، أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن يكرمنا دنيا وأخرى ، والله الموفق .